بعد تسعة وثلاثين عاما

ذكرى ضرب الاسكندرية

منذ أيام قلائل احتفلت الامة الامريكية بعيد حريتها واستقلالها وبعد أيام قلائل تحتفل الامة الفرنسية بذكرى ثورتها الكبرى وعيد تخلصها من نير الاستعباد والاستبداد وهكذا لايأتى شهر يوليه من كل عام الا وتذكر فيه كثير من الشعوب أيام مجدها وعزها أما مصر المحزونة مصر المتألمة مصر المحرومة من حقوقها مصر التى تألبت عليها الظروف السيئة مصر التى أرهقها الأجنبى بحكمه فقد مضى عليها الآن تسعة وثلاثون عاماً وهى تستقبل شهر يوليه بغير الاستقبال الذى اعتادته الامم السعيدة المتمتعة باستقلالها ففى مثل هذا الشهر أطلق الانجليز قنابلهم على مدينة الاسكندرية الهادئة فكانت كل قنبلة بمثابة معول يهدم معاقل استقلالنا ويقوض أركان حريتنا

فى مثل هذا الشهر مثلت السياسة الاستعمارية تلك المأساة المحزنة التى تداس فيها الحقوق الشرعية باسم القوة الغشومة وتهان فيها كرامة الحرية المقدسة باسم السيف والمدفع

لم تكن مصر خصما لاحد ولم تشهر حربا على أحد ولم تحاول اضراراً بأحد ولكن السياسة الانجليزية التى تستهين بحقوق الشعوب الضعيفة أبت الا أن تتخذ من مصر ذلك الخصم المحارب بل ذلك المعتدى الذى

يهدد اسطولها ! ! فصوبت مدافع ذلك الاسطول لتدمر عاصمة البلاد الثانية وهى ما أرادت أن تنال من القلاع والمنازل وانما أرادت أن تخنق حرية شعب بأسره خدمة لمطامعها الاستعمارية

فعلت ذلك على ملأ من العالم جميعه وقد كان عملا ظالما فلم يحرك أحد ساكنا للاحتجاج على هذا العمل ولم تقل الدول كلمة بل ترك الجميع مصر فريسة فى يد القوة الاستعمارية ولم تحاول فرنسا أن تتدخل فى الأمر بل أسرعت بسحب أسطولها من ميناء الاسكندرية قبل أن تقع هذه المأساة التى لم تقف نتائجها عند ازهاق الأرواح البريئة المسالمة بل ازهق فى سبيلها ما هو أعز من الارواح والنفوس . أزهق فى سبيلها استقلال أمة كانت تريد أن تعيش فى صفاء مع جميع الشعوب فحال ظلم الاستعمار بينها وبين ذلك الحق الطبعى لكل أمم العالم

السياسة الانجليزية ومذبحة الاسكندرية

كانت انجلترا من أشد الدول معارضة فى حفر قناة السويس وقد حاولت بجميع الطرق أن تعرقل هذا المشروع فلم تفلح فلما أصبح المرور من القناة أمراً واقعاً واتصل البحر الابيض بالبحر الاحمر انصرفت جهود انجلترا الى وضع يدها على مصر وأخذت تتحين الفرص لتنفيذ هذه السياسة وكانت مذبحة الاسكندرية التى وقعت فى ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ أول حجر أساسى فى بناء الخطة التى رسمها الانجليز لأنفسهم وقد كتب كثير من المؤرخين بما يفيد أن للسياسة الانجليزية ضلعاً فى هذه المذبحة على أن ما وقع من الانجليز بعد هذه المذبحة لم يدع مجالا للشك فى نياتهم نحو مصر

فقد أخذ قناصلهم ورعاياهم يغادرون ثغر الاسكندرية ومن ذلك ان السير مالت قنصلهم الجنرال انتقل فى اليوم الثانى والعشرين من شهر يونيه الى البحر وأقام فى الباخرة (مونغليا) الى اليوم السابع والعشرين ثم سافر الى برنديزى بدعوى المرض ! !

وفى ٢٥ يونيه غادر المستر كوكس قنصل انجلترا فى الاسكندرية أعمال القنصلية بنفس حجة زميله ثم تبعه المستر كالفر بدعوى المرض أيضا ولم يلبث المستر بورج قنصل انجلترا فى القاهرة حتى مثل دور من سبقه

مؤتمر الاستانة

وفى خلال ذلك كان مؤتمر الاستانة منعقدا وكان اللورد دوفرين يعمل فيه بنشاط لخدمة الخطة المنوى القيام بها ففى ٢٧ يونيه قرر هذا المؤتمر بناء على اقتراح قنصل ايطاليا « انه فى مدة انعقاد المؤتمر لايجوز لأى دولة ان تتدخل فى مصر بمفردها » وكان هذا القرار مما يعرقل سياسة انجلترا التى كان اللورد دوفرين عالماً بتفاصيلها فما زال المندوب الانجليزى يقنع بقية أعضاء المؤتمر بتعديل هذا القرار حتى ظفر منهم بأضافة جملة اليه وهى « الا فى الاحوال القهرية » وما كاد المؤتمر يقر هذا التعديل حتى سرى عن اللورد دوفرين لانه فتح الطريق لسياسة دولته وأزال ما كان يعترضها من العقبات عند ما تدق ساعة الهجوم الخطير

على ان المؤتمر عاد فى جلسته السابعة وقرر تدخل تركيا فى مصر لقمع الفتنة بجنودها وكان ذلك فى اليوم السادس من شهر يوليه وهذا نص القرار الذى أرسل الى وزارات خارجية الدول يومئذ « تقرر ان يلجأ الى

الباب العالى ويطلب منه التدخل فى مصر اما مدة بقاء الجيش العثمانى فى مصر فتكون ثلاثة أشهر الا اذا طلب الخديوى مدها الى أجل تتفق على تحديده الدولة العلية مع الدول الاوروبية وحكومة مصر ويعين قادة هذا الجيش بالاتحاد من الآن مع الخديوى أمام مصاريف التجريدة فعلى مصر الخ الخ »

ولكن هذا القرار لم ينفذ وقد احيط عدم تنفيذه بكثير من الاسرار التى لايزال المؤرخون مختلفين عليها وسواء اكان للسياسة الانجليزية يد فى ذلك أم لم يكن لها تأثير فقد لوحظ منذ ذلك الوقت ان الانجليز تركوا سياسة التباطؤ والعمل فى الخفاء وأخذوا يعملون جهاراً وبسرعة وبغير تردد خوفا من حدوث ظروف جديدة قد تعرقل مساعيهم

بلاغ الاميرال سيمور

ولذلك بادر الاميرال سيمور قائد الاسطول الانجليزى فى الاسكندرية فأرسل بلاغا الى الحكومة المصرية يزعم فيه ان العرابيين يحصنون قلاع الثغر وحيث ان هذا التحصين يهدد بوارجه ! ! فلا مندوحة عن الكف عنه والا فأن الاساطيل الانجليزية لا تتردد فى اطلاق النار على هذه القلاع وتنسفها نسفا

وقد كان هذا العذر واهياً لان أساطيل الدول الاخرى كانت قائمة فى الميناء ولم تزعم ان هناك أى خطر عليها بل ان اللورد جرنفيل نفسه صرح فى يوم ٦ يوليه للمسيو تيسو قنصل فرنسا فى لندره وقتئذ « بان استعدادات المصريين لا تؤثر شيئا فى الاسطول الانجليزى »

رد الحكومة المصرية

على أن الحكومة المصرية ردت على هذا البلاغ ردا حكيما قالت فيه :

« ان مصر لم تفعل شيئاً يبرر ارسال الاساطيل الى مياهها ولم تقدم الحكومة على عمل يستوجب ما طلبه الاميرال سيمور فان الحصون باقية على الحالة التى كانت عليها عند وصول الاساطيل ولم يصنع بها شيء سوى ترميمات ضرورية تقيها الهدم وزيادة على ذلك فاننا الآن فى بلادنا فيحق لنا ويجب علينا أن نستعد لرد عادية كل من يسعى فى تكدير علائق السلام ولا يمكن مصر ما دامت متمتعة بحقوقها ومحافظة على شرفها أن تسلم حصنا واحداً من حصونها ولا مدفعاً من مدافعها الا اذا ارغمت عليه بالقوة وهى تحتج على تصريحاتك التى أعلنتها اليوم وتلقى مسئولية كل النتائج التى تحدث من اطلاق القنابل أو مهاجمة الاساطيل على الامة التى تطلق أول قذيفة فى أوقات السلم على مدينة الاسكندرية الهادئة خارقة بذلك القوانين الدولية والقواعد الحربية »

كان هذا صوت مصر الذى ارتفع يومئذ لرد عادية المعتدين وهو صوت يؤيده الحق والعدل ، يؤيده السلام والوئام ، يؤيده الاشفاق على الارواح البريئة ، يؤيده القانون والمعاهدات ولكنه مع ذلك لم يحرك قلب السياسة . لان السياسة لا قلب لها وذهب صرخة فى الفضاء وأبت القوة الغشومة الا ان تنفذ مآربها التى لا يؤيدها سوى رغبة ظلم الشعوب وارادة انتهاك الحقوق

ولذلك ما كادت شمس يوم ١١ يوليه تشرق حتى أفل بشروقها نجم

حريتنا فقد استباحت القوة فى ذلك اليوم المشؤوم كل وسائل الاعتداء والتخريب والتدمير والقتل والفتك لتتغلب على حقنا فكانت ارواح المصريين تصعد الى بارئها وهى تسأله ان ينتقم من كل معتد على استقلال البلاد لا يتردد فى سفك الدماء لتحقيق غاية واحدة هى اذلال الشعوب واستعبادها .

نعم لقد كان هذا اليوم الأسود مملوءاً بالحوادث التى ادمت قلب كل مصرى وباتت ذكراه منقوشة فى النفوس تنادى كل ابناء النيل بأن الحكم الاجنبى لا يورث البلاد الا الذل والعار وانه لا حياة لأمة الا فى ظل حريتها واستقلالها

حوادث ضرب الاسكندرية

دقت الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ١١ يوليه فدق قلب مصر دقات سريعة لم يسمعها احد فى وسط ذلك الدوى الهائل الذى أحدثه اطلاق القنابل من البوارج الانجليزية التى اصطفت خارج الميناء لتدمر كل شىء أمامها لا دفاعا عن شرف انجلترا ولا ذودا عن مصالحها ولا فى سبيل استرداد حق من حقوقها وانما لغاية أخرى هى خدمة المطامع الاستعمارية التى لا تتردد فى اكتساح الشعوب الضعيفة والتحكم فيها مادام هذا الامر غير عسير عليها

ولو كانت قلاع الاسكندرية محصنة تحصيناً قوياً وبها مدافع تخشى مقذوفاتها او لو كان لمصر بحرية قوية لما أجترأ الاسطول الانجليزى أن يقدم على خرق القوانين الدولية ومهاجمة الشعب الهادىء فى داره ولكن